نظرية المعرفة عند المعتزلة

المدرس المساعد
عقيل صادق زعلان
كلية الاداب/ قسم الفلسفة

من الثابت في تاريخ الفلسفة ان مبحث نظرية المعرفة (Epistemology)هو من المباحث الفلسفية الحديثة النشأة الا ان هذا لا يعني ان مسائل هذا المبحث لم تكون معروفة ومبحوثة من قبل ولكن ليس تحت هذة التسمية او المصطلح بل ضمن مباحث فلسفية اخرى او تحت عنوان (المعرفة) وهذا ما وجدناه عند المعتزلة وغيرهم سواء متكلمين كانوا او فلاسفة وسواء في الفلسفة الاسلامية او غيرها .

ان المعتزلة قد تناولوا المعرفة الانسانية ضمن البحث في معرفة الله وهذا يكفي باثبات العلاقة بين نظرية المعرفة عندهم وعلاقتها بالمسائل العقائدية وهذا ما حاولنا تسليط الضوء علية في طيات هذا البحث المتواضع موضحين العلاقة الواضحة بين نظرية المعرفة والمسائل العقائدية .

وباعتقادنا ان كل نظرية وعقيده وعمل يجب ان يستند الى اساس معرفي وان هذا الاختلاف المشاهد بين المذاهب الفلسفية والفلاسفة والمفكرين هو راجع بالاساس الى اختلاف وسائل المعرفة فالذي يعتمد على الحس ويعده المقياس الوحيد في معرفة الاشياء سوف يرى العالم بصورة تتفق مع قياسة الحسي كذلك الذي يعتمد على العقل سوف يرى العالم ويعمل بموجب رؤيته مختلفا عن الحسي وعملة.

المبحث الاول
((نظرة مختصرة عن نظرية المعرفة))

تعد نظرية المعرفة من اهم المباحث الفلسفية ، فهي بالاضافة الى مبحث الوجود (ontoiogy) ومبحث القيم (axiolgy). يشكلون مباحث الفلسفة بشكل عام، وكل فلسفة ترجع بالاساس الى هذه المباحث.

ان ما يميز نظرية المعرفة هو اعتبارها المرتكز والقاعدة الاساسية لتكوين النظرة الى العالم ، فالنظرة الى العالم او الرؤية الى العالم راجعة قطعاً الى تبني اساس معرفي او قاعدة ومنطلق لفهم العالم[1]. ولهذا نرى الاختلاف بين المذاهب والشخصيات الفلسفية . أي يمكن القول ان مبحث الوجود والقيم راجعان اساسا الى مرتكز واساس معرفي . ولهذا نرى المذهب العقلي في نظرية المعرفة انصارة وممثليه يتبنون موقفاً يتلائم مع اتجاههم العقلي حول(الوجود) يختلف اختلافا كبيراعما يتبناه ممثلي المذهب التجريبي.

ومبحث نظرية المعرفة هو من المباحث الحديثة النشأة فتذكر كتب تواريخ الفلسفة ان هذا المبحث نشأ على يد الفيلسوف الانكليزي (جون لوك ١٦٣٢-١٧٠٤) باعتبارة اول فيلسوف تناول مسائل هذا العالم في كتابة (تحقيق في فهم الانسان وعقلة) ثم تعمقت البحوث والتحقيقات في هذا الحقل المعرفي في الوسط الثقافي الغربي وبخاصة في القرن العشرين الميلادي الى درجة انها احتلت مكانة الفلسفة العامه وطرحت مسائل طريفة ودقيقة غيرت ماهية هذا العلم (كلية)[2].

ان نشوء هذا المبحث على يد (جون لوك) لا يعني ان هذا المبحث لم يكون معروف قبل(جون لوك) بل ان جون لوك وضع اسسه ومبادئه وبوب مباحثه بعد ان كانت متداخلة ومبعثرة ضمن مسائل فلسفية اخرى . فاننا نجد في الفلسفة اليونانية على سبيل المثال لا الحصر ان الفلاسفة اليونان قد تطرقوا لبعض مباحث نظرية المعرفة فمثلا نجد السفسطائية ومدرسة الشك اليونانية قد حاولوا التشكيك بأصل المعرفة تارة وبامكان المعرفة تارة اخرى ولهذا نجد ان سقراط وافلاطون وارسطو قد تصدوا لهم وحاولوا اثبات امكانية المعرفة وان المعرفة البشرية توصلنا الى اليقين[3].

واما في الفلسفة الاسلامية فلم تطرح مسائل المعرفة تحت عنوان مستقل بل طرحت في خضم المباحث الاخرى من قبيل (بحوث النفس، الادراك الذي يمثل مرتبة من مراتب النفس وفي بحوث المقولات حيث يتناول العلم تحت (الكيف النفساني) وفي بحوث (اتحاد العاقل بالمعقول) والعقل العملي والعقل النظري وبحث الوجود الذهني[4].

وبحثنا هذا يحاول تسليط الضوء ولو بشكل عام على تناول المعتزلة هذا المبحث وهذا تدليل على ان المعتزلة الذين يشكلون احد اهم المدارس الكلامية في الفلسفة الاسلامية قد تطرقوا الى مسائل هذا المبحث وهذا ماسنحاول تسليط الضوء عليه من خلال البحوث الاتية ان شاء الله. ولكن قبل البدء بالتطرق الى رؤية المعتزلة وتبنياتها لمسائل هذا المبحث نرى من الافضل ان نتعرف على مسائل ومباحث نظرية المعرفة لان الوقوف عليها سيوضح بصورة جلية كيف تعاطى وتناول المعتزلة مسائل هذا المبحث.

اولا/تعريف نظرية المعرفة

لقد طرحت الكثير من التعريفات لنظرية المعرفة من هذة التعاريف (انها– أي نظرية المعرفة – علاقة الذات بالموضوع) والذات هنا يراد بها الانسان لانه الوحيد الذي يمتلك من الطاقات والامكانيات المعرفية ما لا يمتلكه كائن اخر طبيعي وان تشابهت الكثير من الكائنات مع الانسان بوسائل المعرفه وقدرة على الاستنتاج محددة والموضوع هو الشيء الذي يتعرف وتقع عليه المعرفة، أي يمكن القول وعلى ضوء هذا التعريف هي (علاقة العالم بالمعلوم). وهناك تعريف اخر لنظرية المعرفة وهو(انها البحث في طبيعة المعرفةالإنسانية وامكانها وقيمتها واهميتها ووسائلها)، وهذا التعريف هو اوضح من التعريف السابق لانه يوضح لنا مباحث وسائل هذا المبحث.

ثانيا/امكانية المعرفة

تعد مسألة امكانية المعرفة من اهم المسائل التي تبحث في نظرية المعرفة لان الذي يعترف بامكانية المعرفة سوف يقر ويتناول المسائل الاخرى اما الذي لا يعترف بامكانية المعرفة فانه حتما سوف لا يقر ولا يتناول أي مساله من المسائل الاخرى. ويطالعنا تاريخ الفلسفة ان هناك من انكر امكانية المعرفة وآمن بان الانسان لا يستطيع ان يعرف الاشياء وهؤلاء الذين نستطيع ان نسميهم (بالشكاك) او (الغير يقينون) وبالمقابل نجد اليقينون أي الذين امنوا بامكانية المعرفة مهما اختلفت طبيعتها ووسائلها وهؤلاء هم (العقليون والتجريبيون)[٥].

ويقسم الغير يقينون الى قسمين وهم اولا((السفسطائيون) وهؤلاء ظهروا في بدايات الفلسفة اليونانية وهؤلاء قد انكروا اصل المعرفة البشرية ولهذا نرى اهم مثليها وهو (جور جياس) يقول (من المجال ان يكون هناك شيء ما ولو فرضنا تحققه لا يمكن معرفته ولو امكن (فرضا) معرفته لا يمكن توصيفه)[٦]، ومن هذا النص نعرف ان السفسطائية قد انكرت اصل وجود العالم الخارجي بانكارها اصل المعرفة. اما القسم الثاني هم الشكاك هؤلاء قد انكروا امكانية المعرفة وهؤلاء نستطيع ان نقسمهم الى قسمين وهم اصحاب الشك القديم وزعيمهم (بيرون) الذين قد طرحوا العديد من الحجج والاشكاليات والقسم الاخر هم اصحاب الشك الحديث المتمثل بصورة واضحه بالفيلسوف الانكليزي (جورج باركلي ١٦٨٥-١٧٥٣) الذي ادى به مذهبه الحسي الى انكار امكانية معرفة العالم الخارجي[٧].

ثالثا/وسائل المعرفة

لقد اختلف الفلاسفة والمذاهب الفلسفية حول وسيلة المعرفة هل هي الحس ام العقل ام كلاهما معا فمنهم من قال انها الحس ولا وجود للعقل او للعقل دور ثانوي ياتي بعد الحس ومنهم من قال بعكس ذلك ومنهم من قال بالحس والعقل معا) أي كلاهما مكملا للاخر ومنهم من اضاف الى الحدس او الوجدان الباطني او المعرفة القلبية الى وسائل المعرفة.

رابعا/قيمة المعرفة

وفي هذة المسألة نتناول هل ان ادراكاتنا ومعارفنا لها قيمه معرفية أي بعبارة ادق هل يمكن الوصول الى الحقيقة والواقع وان ما ادركناه يطابق الواقع ام لا وهذة المسالة تعد من اساسيات

نظرية المعرفة منها نستطيع ان نميز بين المثالية والواقعية وبين المذاهب اليقينية والغير يقينية[٨].

خامسا/ طبيعة المعرفة

وفي هذة المسالة نتناول هل ان الاشياء مرهونه بالقوى التي تدركها أي بعبارة ادق ان ليس للاشياء وجود واقعي خارجي بل هو رهين بالمدركات وغير من يمثل هذا القول هي(المثالية) التي لم تر للاشياء اي وجود واقعي خارج ادراكاتنا، اما الواقعية فانها على العكس من ذلك رات ان للاشياء وجودا مستقلا عن ادراكاتنا[٩]. هذه اهم مسائل مبحث نظرية المعرفة حاولنا ذكرها والتطرق اليها لنعرف الى اي مدى قد بحثت المعتزلة مسائل نظرية المعرفة.

المبحث الثاني
((المعتزلة ونظرية المعرفة))

لايهمنا كثيرا(ان نتعرف على نشات الاعتزال واهم من مثل هذة المدرسة الكلامية الا بقدر مايتعلق بموضوع البحث . ونترك تفاصيل ذلك الى المصادر التي تطرقت للاعتزال . اننا نجد الكثير من الكتاب والمؤلفين عندما ياتون للمدراس الكلامية ويقفون خصوصا على المدرسة الاعتزالية يؤكدون ان المعتزلة قد امتازت بالمنهج والطابع العقلي . فماذا يقصدون بذلك ! وحسب فهمي يمكن ان يقصدو احد امرين وكلاهما غير صحيح وغير ثابت بل هو لفهم قاصر ومقصر معا (فاذا كانوا يقصدون ان المعتزلة تمثل الجانب العقلي والمنهج العقلي بان المعتزلة قد رفعوا من شان العقل وعولوا على العقل الانساني تعويلا كبيرا (خلافا) للمدارس الكلامية الاخرى وهذا غير صحيح فاننا نجد ا لمدرسة الامامية قد عولت على العقل تعويلا (كبيرا) واهتمت بالعقل الانساني وجعلته اساس التكليف وهناك الكثير من النصوص التي تؤكد ان العقل نبي باطن والرسول نبي ظاهر . فلم ينفرد المعتزلة بذلك فقط.

اما اذا ارادوا ان المعتزلة امتازت بالطابع والمنهج العقلي بان المعتزلة اهتموا بالعقل وعولوا علية ولم يهتموا بوسائل المعرفة الاخرى كالشرع مثلا اوالحس او الحدس فاننا نجد خلاف ذلك . فالمعتزلة قد اعطت للشرع والوسائل الاخرى حيزاً كبيرا في بناء مدرستها الكلامية بل اننا نجد اكثر من ذلك ان هناك الكثير من المتكلمين المعتزلة كانوا فقهاء وقراء[١٠].

لكننا يمكن قبول ذلك القول اذا قسنا المعتزلة مع الاشاعرة بحيث ان المعتزلة اعتمدت على العقل بمقدار اكبر من اعتمادها على الشرع خلافا للاشاعرة الذين اعتمدوا على الشرع ولم يعتمدوا على العقل الا بمقدار ضيق جدا كما نجده عند بعض ممثلي هذة المدرسة الكلامية. فينقل عن القاضي عبد الجبار المعتزلي ت(٤١٥هـ) قولا عن واصل بن عطاء (ت١٣١هـ)المؤسس الاول للاعتزال انه قال (لا يعرف الحق الا بكتاب الله تعالى الذي لا يحتمل التاويل وخبر جاء مجيء الحجة وبعقل سليم)[١١]

وهذا النص فية الكثير من الاشياء التي يمكن ان تؤيد راينا وهي:-

١- اعتماد المعتزلة على الشرع المقدس اضافه الى العقل.

٢ـ تقديم الشرع ومعارف الشرع على العقل .
٣ـ علاقة العقل والشرع بمعرفة حقائق الاشياء.

استقلالية البحث

هناك سؤال يمكن ان يتبادر الى الاذهان وهو ان المعتزلة هل افردوا لنظرية المعرفة مبحثاً (مستقلا) في مؤلفاتهم؟.

وهذا السؤال قد أمحنا اليه في المبحث الاول وقلنا ان لا المعتزلة ولا غيرهم من المتكلمين او الفلاسفة المسلمين قد افردوا لهذا المبحث مكاناً (مستقلا) بل جاء هذا المبحث متداخلا مع المباحث الاخرى، هذا جانب والجانب الاخر ان المعتزلة لم يعرفوا هذا المبحث بهذه التسمية أي (نظرية المعرفة) فهذه التسمية هي تسمية حديثة ومتاخرة . بل ان المعتزلة والمتكلمين والفلاسفة المسلمين قد تناولوا مسائل هذا المبحث تحت مسائل المعرفة والعلم والتكليف والنفس الانسانية والقوى الادراكية.

واننا لنجد ان بعض المتكلمين قد كتبوا وخصصوا ابوابا من كتبهم عن المعرفة ولكن على طريقة المتكلمين ولم يتناولوا جميع مسائل هذا المبحث . لكن هذا لا يعني انهم لم يتناولوا هذا المبحث فيكون كلامنا عن نظرية المعرفة عندهم لا جدوى فيه[١٢] وسوف نتناول المسائل المهمة في نظرية المعرفة ونحاول ان نلقي الضوء على (كيف تناولت المعتزلة هذا المبحث).

١ـ امكانية المعرفة (امكان المعرفة)

لقد امن المعتزلة بامكان المعرفة البشرية فهم على هذا الاساس يقينون. فلهذا نراهم قد تكلموا في وسائل المعرفة وقيمة المعرفة . فاذا لم يؤمنوا بامكان المعرفة وهذا خلاف الواقع فلا داعي الى التكلم والبحث في المعرفة ووسائلها وغايتها، كذلك نراهم قد اعتمدوا اعتمادا كبيرا على العقل والنظر العقلي[١٣] بل نرى اكثر من ذلك انهم قد اثبتوا للعقل مقدرة تقدية اضافة لقدرته المعرفية[١٤].

٢ـ وسائل المعرفة

لقد امن المعتزلة بتعدد وسائل المعرفة ولكل معرفة حيز تعمل به ، ولهذا نراهم امنوا بالحس وبقدرة الحواس على اكتساب ومعرفة الموجودات الطبيعية ، وكذلك نراهم قالوا بتعدد الحواس وفضلوا احاسة السمع والبصر على غيرهم من الحواس[١٥]. كذلك نراهم قد بحثوا في المعرفة العقلية وعرفوا العقل واعطوه من الاهمية مالم يعطوه لوسيلة معرفية اخرى. اما المعرفة الشرعية او الشرع فقد امنوا واكدوا على اهمية هذة المعرفة ، كذلك نراهم قد فصلوا الحديث عن المعرفة الوجدانية (الحدسية)[١٦].

٣ـ قيمة المعرفة

وفي هذة المسالة نراهم قد اكدوا على قيمة كل مدرك وفق ما يدركه ، أي ان الادراك الحسي له قيمه تختلف عن الادراك العقلي فقيمه الادراك الحسي متمثل بادراك الحس لاشياء العالم الطبيعي فا الحواس وسيلة في معرفة الاشياء التي نحس اما العقل فأن قيمته تتمثل بأدراكه ما لا يستطيع الحس ان يعرفنا به فنطاقه اوسع من نطاق الحس وما يدركه اشرف مما يدركه الحس

كمعرفة وجود الله، اما الشرع او المعرفة الشرعية فلها قيمه متمثلة بان هناك معارف لايستطيع الحس و العقل ان يعرفنى بها مثل المسائل الماورائية لانه لاسبيل لمعرفتها الابالشرع الشريف[١٧].

المبحث الثالث
((العلاقة بين نظرية المعرفة والمسائل العقائدية))

نستطيع ان ندرك العلاقة بين نظرية المعرفة والمسائل العقائدية اذا عرفنا ان اصول الدين عند المعتزلة وحتى عند غيرهم من المدارس الكلامية الاخرى مثل الامامية لا يجب على الانسان ان يكون مقلدا .. بها بل على الانسان ان يتوصل الى معرفتها تكون عن طريق العقل وعلى هذا الاساس نعرف مدى اهمية العقل في معرفة هذة المسائل التي هي من دون شك من اهم المسائل التي يجب على الانسان معرفتها والتي يتوقف العمل على الايمان بها ولهذا نحن نفرق بين الذي يملك عقيدة التوحيد والذي لا يملك هذة العقيدة بل اكثر من ذلك نجد الاختلاف بين المدارس الكلامية في مسالة التوحيد.

ن معرفة العقل على هذة المسائل (اصول الدين) لدليل قاطع عل اهمية العقل وقيمتة في ادراك اهم هذة المسائل عند الانسان المسلم. وعلى هذا يمكن القول ان المعتزلة والمتكلمين قد تناولوا موضوع المعرفة الانسانية بعدة وسيلة لمعرفة الله سبحانه وتعالى او غاية قصوى لها.

وسنحاول في هذا البحث ان نسلط الضوء على بعض المسائل العقائدية وعلاقتها ببعض المسائل المعرفية والتي يمكن عرضها لا حصرها على النحو التالي:-

اولا/ معرفة وجود الله

وهذة المسالة العقائدية هي من اهم المسائل التي يجب عل الانسان ان يعرفها بل ان تركها كما تؤكده بعض النصوص لمتكلمي المعتزلة يستحق العقوبة والذم . ان معرفة الله هي مسالة اختلف المعتزلة بها مع الاشاعرة فهي عند المعتزلة واجبة عقلا اما عند الاشاعرة هي واجبة شرعا وهذا ماينقلة لنا الشهرستاني في (الملل والنحل) عن ابوالهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ) انه قال (المفكر قبل ورود السمع انه يجب ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصر في المعرفة استوجب العقوبة)[١٨].

اما النظام(٢٣١هـ) وهو تلميذ ابو الهذيل العلاف فتراه يقول (المفكر قبل ورود السمع انه اذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب علية تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال)[١٩] وينقل لنا الجاحظ ان النظام واصحابة قد قسموا العلم الى قسمين وهما:

١- علم ضروري(اضطراري)

٢- علم اكتسابي (اختياري)

ان تقسيم العلوم الى قسمين ذهب اليه الكثير من متكلمي المعتزلة وذهب قسم اخر الى ان العلوم جميعها اضطرارية ومنهم الجاحظ ت(٢٥٦هـ) ولفظة العلم هذة فيقصد بها المعرفة فهم لم يميزوا تميزا واضحا بين اللفظتين والنص الذي ينقلة الجاحظ عن النظام هو (ان المعارف ثمانية أجناس واحدا منها اختيار وسبعة منها اضطرار فخمسة الحواس الخمس ثم المعرفة بصدق الاخبار

كالعلم بالقرى والامصار والسير والاثار ثم معرفة الانسان اذا خاطبة صاحبة انه موجبه بكلامه اليه وقاصد به نحوه واما الاختيار فكالعلم بالله[٢٠]. ورسلة وتاويل كتابة والمستنبط من علم الفتيا واحكامه وكل ماكان فية الاختلاف والمنازعة وكان سبيل علمه النظر والفكرة والنص الاخير يضيف لمعرفة الله مسائل اخرى اهمها معرفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه المسائل تكون معرفتها عن طريق العقل ولهذا نراه في اخر النص يؤكد على سبيل معرفتها عن طريق النظر والتفكر وهي من ادوات العقل.

على ضوء هذة النصوص المتقدمه نستطيع ان نحدد الشروط التي يجب ان تتوفر لمعرفة الله وهي:

١- ان يكون الانسان كامل العقل
٢- ان يكون مزود بالالات والعدد
٣- القدرة على الفعل.

ثانيا/المكلف والتكليف

نقصد بالمكلف هو الانسان ، فالمعتزلة رأو ان الانسان مكلف باشياء كثيرة من اهمها كما قلنا هو معرفة الله التي بتركها يستحق الانسان العقوبة والذم . ولقد اكدت الكثير من النصوص الاعتزالية على وجوب النظر في معرفة الله فالنظر او التفكر هو مقدمه للوصول الى معرفة الله فنرى القاضي عبد الجبار المعتزلي يقول في ذلك (اعلم ان الغرض من ايجاب النظر الوصول الى المعرفة المتولدة عنه)[٢١] كذلك في نص اخر يقول (انه تعالى اذا اراد النظر من المكلف، فلا بد من ان يريد المعرفة واذا امر باحدهما فلا بد من ان يامر بالاخر ، فالحكمة تقتضي ايجاب النظر يتضمن ايجاب المعرفة)[٢٢].

ومن خلال هذه النصوص نعرف ان النظر يجب ان يكون مقدمه اوشرط في معرفة الله والنظر الذي نقصد به التفكر والاستدلال يجب ان يكون من الانسان بل هو مكلف بالنظر، ولكن هناك شروط يجب ان تتوفر حتى يصح النظر والاستدلال، وهذة الشروط التي يجب ان تتوفر في المكلف والتي من اهمها ولها علاقة وثيقة بالموضوع بحثنا هي (ان يزود المكلف بالالات ليحسن تكليفه). والالات التي يزود بها الانسان نستطيع ان نسميها بوسائل المعرفة أي يجب ان يكون الانسان متمكنامن المعرفة من خلال تزويده بهذه الالات وهذا مايؤكده القاضي عبد الجبار المعتزلي (قد بينا من قبل ان في الافعال ما يحتاج احدنا في ايجاده على بعض الوجوه الى آله وبينا اختلافها واختلاف الوجوه التي يحتاج اليها فيها ،واذا صح ذلك فكما لا يحسن ان يكلف الفعل لا وهو قادر عليه ليصح فيه ايجاده فكذلك لا يحسن ان يكلف الا وقد اعطي الالات او تمكن منها قبل حال الفعل)[٢٣].

ان الله الذي كلف الانسان معرفته قد زود الانسان بوسائل والالات حتى يتمكن من معرفته ومعرفة الاشياء من حولة التي تكون شاهده على وجوده سبحانه وتعالى ، فلهذا نرى ان الانسان زود بالحواس وبالعقل وبالشرائع وبالوجدان حتى يستطيع ان يتعرف على الاشياء من حوله

ويقيم الادلة والبراهين على وجود الله وهذا يؤكد القول ان بحث المعتزله والمتكلمين في المعرفة هو بالاساس كان لمعرفة الله . واهم هذة الالات التي زود بها الانسان مما لاشك فيه هو العقل لان العقل له القدره على الاستدلال والاستنتاج فكل معرفة ترد ان الذهن يستطيع العقل ان ينتزع منها معرفة جديده ولهذا نرى المعتزلة تقول(ان العقل هو عبارة عن جملة من العلوم مخصوصة في متى حصلت في المكلف صح منه النظر والاستدلال والقيام باداء ماكلف)[٢٥].

لقد افرد لنا القاضي عبد الجبار المعتزلي فصول متعدده حول العقل واهميته وتعريفه[٢٥] واعتبره من اهم الالات التي زود بها الانسان (المكلف) حتى يصح منه التكليف ولهذا نراه يقول (اعلم ان: المكلف كما يحتاج ان يكون ممكناً من احداث الفعل بالقدرة والالات ليصح منه اذا ما كلف، فكذلك يحتاج الى ان يكون عالماً بما كُلف وبصفاته والفصل بينهُ وبين غيره ، ليصح ان يقصد الى احداثه وليصح ان يعلم انه قد اول ما كلف)[٢٦]

ثالثا/ رؤية الله

لقد رفض المعتزلة امكانية رؤية الله متفقين بذلك مع الامامية سواءاكانت هذة الرؤية في الدنيا او الاخرة، اما الاشاعرة فعلى[٢٧]. العكس من ذلك فلقد ذهبوا الى امكانها في الدارين (الدنيا والاخرة). ان رفض المعتزلة رؤية الله مستند الى ان ليس بجسم ولا يمكن ان تجري عليه احكام الاجسام ولهذا نراهم يقدمون شروط متعدده لحصول عملية الابصار والتي لا تنطبق على الله سبحانه وتعالى وهذة الشروط هي :-

١) سلامة الحاسه(أي العين)من أي شائبة .
٢) القصد من المبصر الى بصر الاشياء .
٣) مقابلة المبصر للحاسة .
٤) ان يكون المبصر ذا كثافة معينه حتى يمنع من نفوذ الشعاع فاذا كان لطيفا ينفذ الشعاع فيه مثل الزجاج .
٥) ان يكون المبصر مضيا بذاته او بغيره .
٦) عدم وجود الحجاب الحائل بين المبصر والمُبصَر .
٧) ان لايكون المبصر في غاية القرب لانه سوفه يبطل الابصار .
٨) ان لايكون المبصر في غاية البعد .
٩) ان لايكون المبصر صغيرا جدا بحيث لاتراه العين .

لو نظرنا الى هذه الشروط لوجدنا اكثرها لا يصح بحق الله سبحانه وتعالى . فالله ليس بجسم حتى تجري علية هذه الشروط ولا هو متحيز بمكان معين وليس بجسم كثيف، وعلى هذا الاساس لقد رفض المعتزلة اشد الرفض رؤية الله البصرية مستندين اضافة لهذه الشروط التي ذكرناها الى ادله عقلية ونقلية[٢٩].

أن مسالة الرؤية البصرية هي مسالة فسيولوجية فيزيائية تتعلق بالعين حاسة البصر وشرائط فيزيائية من شعاع وخروجه من العين واتصاله بالاشياء اتصلت هذة المسالة بمسالة عقائدية وهي مسالة رؤية الله ولقد رفضها المعتزلة اشد الرفض.

رابعا/المعرفة الشرعية والمسائل الماورائية

لقد اهتم المعتزلة بالشرع باعتبارة احد الوسائل المهمه التي تتعرف بها على الاشياء ، واكدوا كذلك على العلاقة الوثيقة بين المعرفة الشرعية والمعرفة العقلية. فهناك من الاشياء المعلومه بالعقل فقط ويكون العلم بهجة الشرع موقوفا على العلم بها كالعلم بالله وصفاته كذلك هناك مايعلم بالشرع والعقل معا مثل علمنا بان الله واحد لاثاني له ، اما ما يعرف بالشرع وحده مثل المسائل الفقهية والتعبدية وما ليس للعقل والحس ان يدركه[٣٠].

ويمكننا ان ندرك قيمة واهمية المعرفة الشرعية اذا عرفنا ان الشرع هو الوحيد القادر على معرفتنا بمسائل الحياة الاخرى من الجنه والنار والشفاعه والصراط والملائكه والكثير من المعارف التي تشكل مسائل عقائدية مهمة تنظم حياتنا ويكون سلوكنا وعملنا مترتب على درجة ايماننا بها فضلا عن معرفتنا بها.

هذه بعض المسائل العقائدية التي راينا لها علاقة بنظرية المعرفة حاولنا عرضها لا حصرها لانها كثيرة لا يمكن لنا حصرها بهذه العجالة في هذا البحث المتواضع سائلين الله (جل وعلا) ان يعطينا العزم والفرصه لتجلية مثل هكذا مسائل لاعند المعتزلة فحسب بل عند غيرهم ممن قدموا للاسلام والانسانية ما استطاعوا تقديمه.

خاتمة البحث

على ضوء ما تقدم يمكننا الوقوف على عدة نتائج:

١) ان المعتزلة خصوصاً والمتكلمين والفلاسفة بشكل عام قد بحثوا نظرية المعرفة لا تحت هذا العنوان او المصطلح بل ضمن مباحث فلسفية وكلامية اخرى مثل (معرفة الله، النفس، القوى الادراكية الخ...).

٢) ان المعتزلة قد بحثوا اهم مسائل المبحث (نظرية المعرفة) مثل امكانية المعرفة ووسائل المعرفة وقيمة المعرفة.

٣) ان المعتزلة قد بحثوا في المعرفة الانسانية ضمن معرفة الله لانها اهم المسائل الكلامية المبحوثة.

٤) هناك علاقة بين نظرية المعرفة ومسائل عقائدية عديدة بل هي اهم المسائل العقائدي مثل مسألة (معرفة وجود الله ورؤية الله والتكليف والمسائل الماورائية).

مصادر البحث والهوامش

١- ينظر مرتضى مطهري، العالم في المنظور الالهي والمنظور المادي، دار التعارف للمطبوعات، لبنان،ص٢٥-٣٢، كذلك ينظر :محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات،لبنان.ط٢، ١٩٩٨،ص٥١.

٢- ينظر :حسن ابرهيميان ، نظرية المعرفة ، مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٢،ص٢٢.

٣- المصدر السابق،ص٤٣وما بعدها.

٤- ينظر:المصدر نفسة:ص٢٣-٢٤

٥- ينظر:احمد كاظم البهادلي، محضارات في العقيدة الاسلامية، بغداد،ط٣، ج١، ١٩٩٤، ص٦٩-٧٠.

٦ـ ينظر :حسن ابرهيمان، نظرية المعرفة،ص٤٥ .
٧ـ ينظر:المصدر نفسة،ص٢٢،كذلك احمد كاظم البهادلي،محاضرات في العقيدة الاسلامية، ص٦٨ .
٨ـ ينظر :حسن ابرهيمان، نظرية المعرفة، ص١٩٧ .
٩ـ ينظر:توفيق الطويل ، اسس الفلسفة، دار الحمامي للطباعة ، القاهرة، ص٣٢٥ .
١٠ـ ينظر:عقيل صادق زعلان، نظرية المعرفة عند المعتزلة الاوائل، رسالة ماجستير، جامعة الكوفه، ٢٠٠٢، ص٦٨ـ ومابعدها .
١١ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر ،١٩٧٤ ،ص٢٣٤ .
١٢ـ ينظر على سبيل المثال (المغني) للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ج١٢ كذلك (التمهيد) للباقلاني.
١٣ـ ينظر: حسن زينه، العقل عند المعتزلة، دار الافاق الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص ١٨ .
١٤ـ ينظر: المصدر نفسه ،ص٢١ .
١٥ـ ينظر: عقيل صادق زعلان ، نظرية المعرفة عند المعتزلة الاوائل، ص٢٨ .
١٦ـ ينظر: المصدر السابق، فصول الرساله.
١٧ـ ينظر: المصدر نفسه، فصول الرسالة.
١٨ـ المصدر السابق، نقلاالله عن الشهرستاني، ص٤٧ .
١٩ـ المصدر نفسة، ص٤٨.
٢٠ـ الجاحظ: رسالة المسائل والجوابات في المعرفة، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩ ، ص٢٧ .
٢١ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي ، المغني، ج١٢، تحقيق الدكتور ابراهيم مذكور، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر ،ص٤٩ .
٢٢ـ المصدر نفسة، ص٤٩ .
٢٣ـ المصدر السابق ، ج١١ ،ص٣٧٠ـ٣٧١ .
٢٤ـ المصدر نفسه ، ص٣٧٥ .
٢٥ـ ينظر على سبيل المثال، القاضي عبد الجبار المعتزلي ، المغني الجزء ١٢ .
٢٦ـ القاضي عبد الجبار المعتزلي ، المغني ،ج١١ ،ص٣٧٠ـ٣٧١ .
٢٧ـ ينظر: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، كلمه حول الرؤية ، مؤسسة اهل البيت (عليهم السلام)بيروت ،لبنان ، ١٩٨٢ ، ص٧ وفيه يورد ادله عقلية ونقلية لاثبات عدم الرؤية على مذهب الامامية .
٢٨ـ ينظر: عقيل صادق زعلان ، نظرية المعرفة عند المعتزلة الاوائل نقلاالله عن الجويني في الارشاد ، ص٢٤ـ٢٥ .
٢٩ـ ينظر: المصدر نفسه ،ص٢٦ .
٣٠ـ ينظر: ابي الحسين المعتزلي البصري ، المعتمد ،ج٢، تحقيق محمد حميدالله ، المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٦٤، ص٨٨٩ .